مجموعة مختارة

من سلسلة حكايات (عمو حسن)

الأستاذ الأديب الكبير

علي حسين الخباز

الغضبة

اندهش حين رأى بعينيه قوما يعبدون شجرة، فقد كانوا يحيطونها بقدسية وولاء، ويقدمون لها طقوس العبادة والثناء، واستغرب الامر اكثر حين أجابه أحدهم: أنهم اناس يعبدون الشجرة من دون الله.. ومن لحظتها لم يهنأ بزاد او براحة، ولا اطبقت عيناه اجفانها، لذلك قرر ان يحمل فأسه، ويذهب ليقطع تلك الشجرة ...

وسار به غضبه... فلقيه شيخ كبير السن، يتكئ على عصاه، صائحا به: الى أين؟ وأي شيء تريد؟ فقال صاحبنا: أريد قطع هذه الشجرة التي تُعبد من دون الله سبحانه تعالى؟

فأجابه الشيخ: ما أنت وذاك؟ تركت عبادتك وتفرغت لهذا... فالقوم يا ولدي ان قطعتها سيعبدوا غيرها !!.

فأجاب الشاب: لابد لي من قطعها .

فصاح الشيخ: انا امنعك منها. فتصارعا، فضرب الشاب الشيخ، واسقطه ارضا، وقعد على صدره... وقال له: يا عم ما شئت ان اضربك، لانك رجل كبير السن، لكن ان تقف في طريق جهادي لله، فذلك عندي يستحق قطع عنقك .

فقال له الرجل الكبير: هل لنا ان نتفق على رأي؟

فسأله الشاب: ما هو؟

فقال الشيخ: انا يا بني صاحب هذه الشجرة، لقد اصابني منها خير كثير، بسبب تبرك البعض بها، وبسبب عبادتهم لها، وحين تقطعها سينقطع رزقي منها، فما رأيك ان ترجع، وسنتقاسم الارباح سوية، سأرسل لك نصف ما أحصل عليه، فترتاح انت من تعب العمل، و(دوخة الراس).

اقتنع الشاب بهذا الاتفاق، وصار الشيخ يرسل اليه نصف ارباح ما يحصل عليه... وبعدها بمدة انقطع عنه، ولم يبعث اليه بشيء، فحمل الشاب فأسه، وتوجه ليقطع الشجرة، وسار في الليل، واذا بالشيخ في الطريق: أين تريد؟

قال الشاب: الى قطع الشجرة الملعونة .

فقال له الشيخ: ليس الى ذلك سبيل، وانا امنعك. فتخاشنا واذا بالشيخ يرفع الشاب ويلقيه ارضا بيسر وسهولة. وقال له: لئن لم تنتهِ عن هذا الامر لأذبحنك.

اندهش الشاب... كيف عجز بنفسه عن مجابهة الشيخ؟ ومن أين له هذه القوة التي عجز عنها؟ وكيف استطاع أن يصرع الشيخ في المرة الأولى؟!!

فقال الشيخ: يا بني السر ليس في قوتي، بل في غضبتك، فالغضبة الاولى كانت غضبة لله تعالى، عجزت أنا عن مجابهتها، أما الغضبة الثانية فكانت للدنيا، ولنفسك، ولبعض الاموال التي لم تصلك... ولذلك صرعتك بسهولة.

حكايات عمو حسن

(العنف المدرسي)

كانت (وفاء عبد الله) طالبة في الصف الثاني متوسط، مجدة مجتهدة يشهد الجميع أن هبوط مستواها الدراسي جاء مقترناً بمجيء السيدة (مديحة رامي كامل) مدرسة الانكليزية، فملامحها الغاضبة وعصاها الغليظة ووعيدها الصارخ بعث في الكثير من الطالبات الخوف والرهبة، وربما ازداد الأمر عند وفاء لدرجة الإغماء أحياناً.

قالت (أم وفاء) في محضر التحقيق: إن مشاكل العائلة قد استفحلت في الآونة الأخيرة مما أثر على تهيئة الجو المناسب للدراسة، ولكنها استدركت أن ابنتي طالما تصحو فزعة فهي كثيرة الأحلام المرعبة بالست مديحة، ويا لهول هذه الست العجيبة.

لنعد إلى ما حصل، وقفت الست مديحة غاضبة أمام وفاء وهي تصرخ: لماذا لم تكتبي واجبك؟

اطرقت (وفاء) إلى الأرض ما من جواب، صرخت بها المدّرسة، ثم رفعت عصاها الغليظة لتضرب رأس (وفاء)، وبعدها سحبتها من رأسها أمام الجميع وسجنتها في أحد المرافق الصحية تأكدت من إقفال الباب وعادت لتري بطولتها للطالبات، هذا عقاب من يقصّر في درس الست (مديحة)، وفي اليوم الثاني مباشرة حصلت المفاجأة دخلت المديرة إلى غرفة المدرسات قبل الدوام

بلحظات لتخبرهن، أمس اختطفت إحدى الطالبات من المدرسة وتدعى (وفاء عبد الله).

أوه صرخت الست (مديحة) وركضت صوب المرافق الصحية بحركة مجنونة تتبعها المدرّسات، لقد نسيت أن تطلق سراحها بعد انتهاء الدوام.

فتحن الباب وإذا بـ(وفاء عبد الله) جامدة دون حراك، وكل ما فعلته السيدة مديحة أنها بكت وهي تصرخ: أوه مسكينة ماتت (خطية).

أبو وفاء قال للقاضي: أنا أطالب بإعدام الست مديحة، ولا أقبل بشيء سواه من أجل أن لا تُقتل (وفاء) أخرى، ولكي لا تصبح مدارسنا (غوانتنامو).

(حسن النية)

نال الحاج عباس الحمال (رحمه الله) شهرة واسعة في مدينة طويريج من خلال مسبحته التي كانت لا تفارق يديه، والمشكلة انه كان يستخيرها حتى في أمور الرزق والمعيشة والعمل، لا يحمل بضاعة إلا بعد أن يستخير، فاذا كانت الاستخارة جيدة ذهب الى العمل، وإلا فلا، حتى لو أعطوه اضعاف السعر بمرات.

فطالما تنادر الناس في اموره والكثير من المناقشات تشهدها جلسات الشيوخ والشيبة عما يفعله الحاج، البعض يستنكر مثل هذه الاستخارة أن تدخل في جميع أشياء الحياة، والبعض الاخر يرتاح لحسن نيته التي لابد أن تصيبه خيراً.

ذات يوم مرض الحاج عباس، فقرر أن يستخير بالمسبحة: هل يذهب الى الطبيب؟ فكانت (موزينة)، وأخذ خيرة هل يذهب الى المستشفى؟ فطلعت الخيرة: (لا)، هل يذهب الى مستشفى كربلاء؟ فكانت الخيرة: (لا)، هل يذهب الى مستشفى الحلة؟ فكانت الخيرة: نعم. فذهب صباحا الى المستشفى للتداوي، وبعد أن أراد أن يخرج من المستشفى حدثت المفاجأة، أخذ الحاج خيرة: هل يخرج من المستشفى؟ فكانت الخيرة: (لا)، هل يبقى في المستشفى؟ فكانت الخيرة: (لا)، فغضب الحاج على نفسه واعتلى إحدى (المصطبات) صائحاً: اذا لم اخرج ولم ابقَ فأين ساذهب؟ لابد أن اطير، وفعلا قلد حركة الطير، وقذف بنفسه مرات حتى تجمع الناس لهذا المشهد، وهم يضحكون لمنظر رجل اشيب

يحاول الطيران، وهو مستمر في محاولاته، واذا بشاب يخرج راكضا من الردهات الداخلية حاضنا الحاج ويقبله بحرارة وينادي شكراً لك يا حاج، لقد شفي ابي ببركات حسن نواياك، فتساءل الحاج: ما القضية؟

قال الشاب: ابي احد التجار المعروفين في بغداد وبابل منذ ايام وهو راقد في المستشفى اثر (شعرة) غريبة حشرت في البلعوم، وقرر الأطباء اجراء عملية جراحية لإخراجها ولكن الذي حصل ان والدي كان ينظر من نافذة غرفته اليك، وانت تطير فضحك طويلاً حتى شرق فشفي، ولم يعد يشكو الالم، الطبيب يقول: ان الشعرة قد خرجت بفعل الضحك، ولذا فجميع تكاليف العملية هي حقك المشروع لك، وبعدها لم يعد الحاج حمالاً، حيث قرر التاجر أن يفتح له محلاً كبيراً هدية لحسن نواياه.

حكايات عمو حسن

(عقوق الوالدين)

يرى الناس أن الحاج (فليح) كبُر فجأة، وظهرت عليه علامات الشيخوخة، وبعدها عرف الأقربون أن مصيبة الحاج فليح هي بفراق ابنه الوحيد الذي كان يدرس حينها في إحدى جامعات بغداد، هو ولده الوحيد وسلوته وهواه.

كان طالما يتحدث عن ولده الذي سيعود إليه موظفاً كبيراً يرفع رأسه بين الناس، تعلقت آماله كلها به، كان دائم الشكوى إلى أمه: أليس هؤلاء أصدقاؤه يأتون إلى أهاليهم كل خميس، لماذا ينقطع عنا؟

فتجيبه والدته بقلب أم: دعه يا حاج، فهذه السنة الأخيرة، وتحتاج إلى الكثير من الجهد والمطالعة، وعليك فقط إرسال المال له مع أصدقائه؛ كي لا يجوع.

وفي صباح ذات يوم نهض الحاج فليح وهو يئن ويصيح: يا امرأة خلص صبري واشتقت إلى رؤية ولدي، فلم أعد أطيق احتمالاً أريد أن أراه، وهيّأت له الحاجة أم حسن الطعام الفاخر ليحمله إلى ولدها وهي توصيه: سلّم لي على ولدي، قبّل لي ولدي.

كان الحاج سعيداً جداً وهو يشد رحاله إلى بغداد، وسعيداً برؤية ولده، وما إن وصل باب الجامعة حتى حصلت المفاجأة التي لم يتوقعها الأب.

قال له كاتب الاستعلامات:- انتظر هنا حاج فهو لم يأتِ بعد، وجلس الحاج خارج الغرفة ليرى قدوم ولده العزيز، وفعلاً رأى ولده يرتدي الأجمل والأغلى من الملابس الفاخرة، كان جميلاً أنيقاً، وحين اقترب، صاح الحاج باسمه:- ولدي حسن، وقف الولد بحياء أمام زميلاته ينظر إليهن تارة وإلى أبيه تارة

أخرى، تقدَّم ليقبّل أباه ببرود لكن المشكلة أن الوالد سمع ولده وهو يقول لزميلته:- هذا خادمنا..!!

وعاد الأب حزيناً منكسر الخاطر، وهو يبكي طوال الطريق، ثم نام، وبقي نائماً حتى وصلت السيارة إلى كربلاء فنزل الجميع إلا الحاج فليح.

حكايات عمو حسن

(أنا أستحق العقوبة)

وقف أمام المشنقة خائر القوى ترتعش فرائصه خوفا، سألوه: هل لك أمنية أخيرة؟ قال وهو يبكي: نعم، حكمة أقولها لرجل دين علها تنفع الناس: أنا يا سيدي رجل بريء، لم أرتكب جريمة القتل المنسوبة لي فابحثوا عن القاتل الحقيقي.

اسمي كامل فؤاد عبد الله شاب من عائلة فقيرة تعيش في حلب، اعمل في متجر لرجل غني لقد أحب امانتي وحرصي على عملي وطاعتي، وكان لهذا التاجر ابنة مريضة تكبرني سناً، وهي دميمة عفّ عنها الرجال، فكرت ذات يوم أن اتزوجها فهي وحيدة أهلها وكل هذه الملكية وهذا الغنى سيعود لها وحدها.

وفعلاً، تم كل الذي حسبت حسابه واصبحت بعد ثلاث سنوات من اغنياء حلب، وكل الذي ينقصني هو امرأة جميلة فقط، وكيف لي أن اظفر بامرأة حسناء وزوجتي على قيد الحياة، فأخذت المسألة تكبر في رأسي يوماً بعد يوم، وفي أحد الأيام تعرضت زوجتي لوعكة شديدة.

أسرعت لنقلها إلى المستشفى وانا في الطريق قررت القضاء عليها بطريقة تبعدني عن يد القانون، فبقيت أدور في سيارتي من شارع لشارع وهي تستنجدني (كامل) أرجوك أنقذني، تركتها تنازع أنفاسها الأخيرة في السيارة، وبعدها أخذتها إلى المستشفى وأنا أبكي وأستصرخ: زوجتي كيف سيكون طعم الحياة دونكِ،

وأبكي وهكذا صدقني الناس، وقدموا تعازيهم ومواساتهم، وهم يدعونني إلى الصبر والسلوان، ولذلك أقول: إن عقوبة الأعدام أنا استحقها فعلاً؛ لكوني ارتكبت جريمة قتل بحق إنسانة كانت سبب الخير الذي أنا فيه، ولم أنل أي عقوبة؛ بسبب غباوة القانون اللاانساني الذي حماني، وأنا قاتل، لكنه تخلى عني وحكمَ عليّ بالاعدام على قضية لا علاقة لي بها، هذه هي حكمة الله سبحانه وتعالى فجعل هذه بتلك، فاقتنعت تماماً أن الله لا يغفل عن المظلومين أبداً، وتلك حقيقة لم أعرفها إلا في لحظاتي الأخيرة.

حكايات عمو حسن...

(المرأة الوحيدة)

من دون نساء العالم، كانت هذه المرأة العجوز مدار حديثنا نحن الصغار ليل نهار، كنا نحبها كثيراً، ولا نعرف عنها سوى ما تروي لنا امهاتنا، كانت وحيدة ليس لها احد رغم ان الجميع يناديها (أم علي) يقول أحد الصغار: رأيتها يوماً في السوق فقد ظنّها احد الرجال متسولة أعطاها درهما، رفضته بعد أن ابتسمت في وجهه وقالت له: الله يكثّر خيرك، فأنا امرأة غنية والحمد لله، لكنها في الحقيقة كانت امرأة فقيرة لا مُعيل لها..!!

وكنا نرى امهاتنا يحملن تحت عباءاتهن طعامها اليومي، ولا يتركن دارها ساعة دون زيارتها، وذات يوم مرضت (أم علي) فدار نفير عام عندها نساء يدخلن ونساء يخرجن حتى امتلأت الدار بالنسوة للاطمئنان على صحتها، ويبدين استعدادهن لعلاجها واخذها الى الطبيب، ولكن طال بها المرض حتى أصبح حديث البيوت: كيف بنا اذا ماتت هذه المرأة الوحيدة مَنْ يغسِّلها ومَنْ يدفنها ومَنْ يقيم لها المأتم المناسب بورعها على الاقل؟ وفي ضحى احد الايام الصيفية الحارة وبعد ان انصرف الرجال الى اعمالهم ومحلاتهم سمعنا خبر وفاتها وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

كان الجو حارا لا يسمح بانتظار عودة الرجال من اعمالهم، ومَنْ الذي سيبلِّغ جميع الرجال ومحلاتهم متباعدة عن بعضها؟ وهل فعلا سيتركون اعمالهم وارتباطهم ويأتون عجالاً ليدفنوا هذه المرأة الغريبة؟ وبينما نحن الصغار نستعد

لهذه المهمة الصعبة حدثت المفاجأة التي اذهلتنا قبل سوانا، إذ دخلت سيارة كبيرة في فروعنا الضيقة فيها اربعة شبان وعليها تابوت خشبي سرعان ما ترجلوا وحملوا جثمانها الى المغتسل، وبعدها التحق الرجال بهم لمواراتها في مثواها الأخير، واقاموا لها مأتماً كبيراً في مسجد المحلة لمدة ثلاثة ايام، مَنْ هؤلاء الشبان؟ ومن اين جاءوا؟ لا أحد يعرف عنهم شيئاً..! حتى تبيّن اخيراً أن احدا ما قد اتصل بهم واخبرهم بوفاة جدتهم (أم علي)، وحين وصلوا كربلاء عرفوا أن جدتهم سالمة وان جارتها (أم علي) الوحيدة الفقيرة هي المتوفاة!! لذلك قرروا القيام بواجبها عوضاً عن جدتهم التي دفعتهم الى هذا المعروف الانساني الكبير. يا سبحان الله، وما ان اتموا مراسيم الفاتحة حتى فارقت جدتهم الحقيقية الحياة!! فتكفل احفادها الشباب بحمل جنازة جدتهم مع اهل المحلة الى مثواها الاخير بكل وقار ومهابة واحترام.